مشروعات أبحاث:
د. قيس عبدالدايم الأنصاري
أستاذ الجراحة باقصر العيني بمصر

قال صلى الله عليه وسلم: (يحرم من الرضاع ما يحرم من الولادة .(

في إطار سياسة المجلة الخاصة بطرح مشروعات أبحاث حول موضوعات الإعجاز العلمي.. تلقينا هذا المشروع القيم من الأستاذ الدكتور/ قيس عبد الدايم حول تحريم الزواج من الذين اشتركوا في الرضاعة من ثدي واحدة وهو موضوع له أهميته نظراً لإنتشاره بين فئة غير قليلة من عامة الناس.. وإذا كان هذا التحريم قد تضافرت له أحاديث كثيرة بروايات متعددة إلا أن هنالك وجهاً علمياً لحكمة ذلك التحريم يحاول الراسخون في العلم أن يميطوا اللثام عنه.. وهذا ما سوف نقف عليه من خلال هذا الموضوع.

حرم الله تعالى الزواج بين الذين اشتركوا في الرضاع من ثدي امرأة واحدة، وحدد رسول الله صلى الله عليه وسلم عدد الرضعات المحرمة بخمس رضعات مشبعات واعتبر الرضيعين إخوة والمرضعة لهما أما في كل شيء تقريباً ما عدا الإرث !!

وهذا التحريم كان - وما زال والله أعلم - مجالاً مفتوحاً لكل من يريد أن يدلي بدلوه فيه من إعطاء الرأي أو وضع نظرية احتمالية تساعد - ولا تجزم - على تفسير هذا التحريم الإلهي وتحديد العدد من رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم.

وهذا لا يعني مناقشة الأمر الإلهي والمجادلة فيه من ناحية التطبيق أو القصد منه- والعياذ بالله- ولكنها محاولة متواضعة لتفسير أو إعطاء خلفية علمية للحكمة من وراء هذا الأمر الإلهي غير القابل للمجادلة أو المناقشة.

معنى البنوة:

وقد شغلني هذا الموضوع منذ فترة طويلة وقبل أن أقترح الاحتمال العلمي لذلك أريد أن أوجه النظر لبعض نقاط يجب أن تسرد.

أولاً: إذا عرفنا ما هي الأخوة أو البنوة فنجد أنها من الناحية العلمية اشتراك أعضاء الأسرة في التركيب الجيني المناعي المتقارب مع وجود بعض الفروض البسيطة.

ثانياً: كان الزواج من الأخوة مسموحاً به زمن سيدنا آدم عليه السلام شريطة أن يتزوج الأخ الأخت المخالفة له في توقيت الولادة أي اعتبر الأخوين الذكر والأنثى من نفس البطن والتوقيت أخوة لا يتزاوجون، وسمح بالتزاوج فقط بين الأخوة المتخالفين في البطن وتوقيت الولادة، وعليه تزوج قابيل من أخت هابيل من نفس البطن وكان ذلك مسموحاً لقلة عدد الغرباء المتوفرين للتزاوج.

ثالثاً: كما يحمل لنا التراث الإسلامي مقولات لبعض الصحابة والتابعين (ونسبها البعض على ضعفها إلى النبي صلى الله عليه وسلم) تنصح كلها بالزواج من خارج دائرة الأقارب وقد أيد العلم الحديث تلك المقولات على أساس تقارب الجينات الوراثية في الأقارب، وعليه يصبح تواجد الصفات الوراثية المتنحية المسببة لأمراض وراثية متراكماً في الأطفال وتختفي فيهم الصفات السائدة التي تخفي أو تغطي على تأثير هذه الصفة المتنحية وهنا يظهر المرض الوراثي في أطفال الأقارب.

رابعاً: رغم أن الطفل الجنين داخل رحم أمه يعتبر من الناحية العلمية كعضو مزروع داخلها لأنه مخالف لأمه من وجهة التركيب الجيني فبالرغم من هذا لا تطرد الأم هذا الطفل- رغم وجود محاولات لطرد بعضها على هيئة القئ المستمر المتكرر في أوائل الحمل والتسمم الأكلامبس في آخر الحمل - ويحدث بينهما ما يسمى في علم المناعة " بتأقلم مناعي ".

خامساً: مع ظهور وإنتشار زراعة الأعضاء وجد الآتي:

1- أحسن معطى للعضو هو: إما أحد الوالدين خاصة الأم، أو الأخوة المباشرين يتبعهم الأقارب مثل الخال والعم والجد حيث إن عوامل الرفض فيهم أقل ما يمكن ونجد نجاح نسبة كبيرة من اختبارات التجانس النسيجي بنهم بالمقارنة بالغرباء.

2 - رغم وجود بعض التخالف في التجانس النسيجي بين المعطى والمتلقى للعضو فمن الممكن عمل نقل دم للمريض المتلقى من

المعطى قبل عملية الزرع وهذه تقلل نسبة الرفض من المتلقى.

وقد فسر ذلك بوجود خلايا ليمفاوية من المجموعة (T) تقوم بتثبيط عمل الخلايا الليمفاوية من نفس المجموعة T التي تقوم بعملية الطرد (cell suppressor T

3 - حدد عدد مرات نقل الدم بثلاث مرات حيث وجد أن هذا العدد لا يكفي لتنشيط الخلايا الطاردة ولكن في نفس الوقت يقلل من نسبة طرد العضو بواسطة المتلقى رغم وجود تخالف في التجانس النسيجي بينهما) أي مثلما يحدث من الأم والطفل وما يسمى بالتأقلم الصناعي (J.P Tarasaki .G Opelz 1980 Transplantation 8-153/20).

سادساً: التعريف المناعي للنفس وتحديد الهوية المناعية تعتمد على محو الذاكرة المناعية للطفل بواسطة محو تجمعات مناعية بواسطة أجسام مضادة من النفس. وما يتبقى من هذه التجمعات المناعية لم يتم محوه يكون هو التكوين المناعي للنفس (Wangetal 1982 J. Immunology. 128/1382-85).

ومعروف أن لبن الأم يحتوي على الأجسام المضادة المطلوبة لإعطاء مناعة للطفل من الأمراض في الشهور الأولى من حياته حتى يصبح جسمه قادراً على تكوين هذه الأجسام المضادة الخاصة به.

الآن والآن فقط بعد هذا السرد شبه التفصيلي لبعض النقاط العلمية استطيع أن أقدم هذا الاقتراح الافتراضي.

هل يقوم لبن المرضع بعمل محو بعض التجمعات المناعية (المذكورة في البند سادساً) من الطفل الرضيع وعليه تغير من التكوين المناعي له ليقارب التكوين المناعي لأخته أو أخيه الرضع من نفس الأم والثدي ؟ (مثلما يقدم نقل الدم للمريض المتلقى للعضو المزروع " المذكورة في بند خامساً فقرة3 ").

صحيح أنه لم ولن يتم عمل تغيير في التركيب النسيجي المسئول عن التجانس النسيجي ولكن سيحدث تأقلم مناعي بينهما.

الخلاصـــــة:

وطرق البحث المطلوب طرقها للتوصل إلى إقرار أو إثبات ذلك هو القيام بعم لنقل نسيج عضو من حيوان تجريبي إلى آخر من نفس الفصيلة ويكون المتلقي هو رضيع من أم المعطي عدد رضعات أقل من خمسة في مجموعة وأكثر من مجموعة أخرى ونرى مدى تقبل الجسم للعضو المزورع والمدة التي يطرده بعدها !! مع عمل التحاليل السابقة لعملية الزرع كما تعمل في الإنسان (دراسة التجانس النسيجي في الكروموسومات مجموعة أ، ب،د- دراسة تجانس نسيجي خلوي مباشر من كرات الدم البيضاء والليمفاوية).